Coptology

مع المسيح من العلية إلى القيامة – ٢

حسب قطمارس أُسبوع الآلام

شهادة لتعليم آباء الإسكندرية

دكتور

جورج حبيب بباوي

٢٠١٦

www.coptology.org

الجمعة العظيمة – جمعة الصلبوت

ثلاثة عناقيد من العنب، الأول هو النبوات، وسوف تجد شرح الالآم الرب في نبوة أشعياء النبي للقديس كيرلس الكبير. والثاني هو مزمور "كرسيك يا الله". والثالث هو قِطع الساعة السادسة والتاسعة التي نصليها كل يوم في صلوات السواعي (الأجبية).

من عناقيد العنب الثلاثة نجد أولاً قوة المخلص والفادي الذي جاء لكي يدوس كل ما هو فاسد، الموت بشكل خاص، وأن يرفع الدينونة لا أن يحكم عليه الآب – كما ساد في العصر الوسيط وعصر الإصلاح بعد ذلك– لأننا هنا أمام الخلاص العظيم، وهو كما نجد في القراءات التي تعرف باسم "الباركليت"، وهي أربعة فصول تبدأ من يوحنا ١٣ وتنتهي بصلاة الرب في يوحنا ١٧ وتعليق طرح الساعة الأولى من ليلة الجمعة واضح: "هذه هي الوصايا التي قررها مخلصنا مع تلاميذه ...".

وحسب استخدام كل الكنائس الأرثوذكسية، فإن نبوة أشعياء بالذات من الترجمة السبعينية التي قام بها يهود الإسكندرية، وهي تمثل التقليد اليهودي، وهي كما سيرى القارئ تختلف عن النسخة العبرانية؛ لأن يهود الشتات كان لديهم وعي أعظم من يهود فلسطين بمجيء المخلص، ولذلك جاءت الترجمة اليونانية حاملةً معها التراث اليهودي الخاص بالمسيح، وهو ما جعل يهود فلسطين يمنعون قراءة السبعينية. وقد عثر على صفحات من الترجمة السبعينية في مجمع بن عزرا في مصر القديمة تعود إلى القرن الخامس الميلادي وربما قبل ذلك، فهي بذلك تُعدُّ من أقدم الوثائق الخاصة بالعهد

القديم[١].

أولاً: القطمارس القبطي لا يختلف عن القطمارس اليوناني أو السـريـاني؛ لأن نفس النبوات تجدها خاصة بأسبوع الآلام مع اختلاف الترتيب.

ومراجعة عظة القديس أثناسيوس الخاصة بالساعة الثالثة، تؤكد لنـا أن قـوة المخلص هي الشفاء ورد الحياة وسبي الجحيم، ولذلك تحرص الكنيسة على قراءة (كو ٢: ١٣-١٥):

- نحن الأموات في خطايانا أحيانا معه.

مسامحاً لنا بجميع الخطايا

والرب لم يدفع ثمن الخطايا، كما هو شائع عند الإنجيليين وبعض الأرثوذكس الذين يجهلون التسليم الكنسي، بل محا الصك الذي كان علينا .. وقد رفعه من الوسط مسمراً إياه بالصليب".

وبذلك فَقَدَ الصك القيمة؛ لأنه مُزِّق عندما سُمِّرَ في الصليب، وهو ما تحرص عليه صلوات قطع الساعة السادسة. ويحرص طرح الساعة الثالثة علـى أن يؤكـد أن الرب يسوع هو الإله الكلمة مخلصنا كالتدبير، لبس الجسد القديم الذي لأبينا آدم أول الخليقة، وصار اللاهوت السمائي متحداً بالبشرية بغير استحالة لا تُدرك. هي الحُلة التي لا تتغير المتحدة بالإله الكلمة .. ولاحظ أن نبوة أشعياء (٥٣) تؤكد أن الآب "شـاء أن يشفي جراح نفسه".

---

(١) أقدم إشارة إلى الترجمة اليونانية وردت في خطاب Aristobulus من يهود الاسكندرية عاش في القرن الثاني قبل ميلاد ربنا بالجسد وذلك ان ترجمة التوراة اكملت في عهد بطليموس فيلادلفوس. ولا تزال طبعة Lanclot Brenton التي صدرت في ١٩٨٦ وطبعت عدة رات هي الطبعة المستعملة حالياً في أغلب الجامعات.

ثانياً: صُلِبَ في اليوم السادس وفي الساعة السادسة. اليوم السادس هو نهاية الخلقة الأولى، ولذلك جاء صلب المخلص في يوم الجمعة، أي يوم الاستعداد للسبت لكي يبدأ الاسبوع الجديد، وهو اليوم الأول، أي يوم قيامة الرب من الأموات "أول الأسبوع"، وهو يمزق "صك خطايانا"، وليس خطية آدم وحده.

ثالثاً: انتصار المسيح هو: "قتلت الخطية بالخشبة وأحيت الميت بموتك الذي هو الانسان الذي مات بالخطية". كانت الخطية تجلس على عرش اسمه الموت (رو ٥: ٢١)، ثم جاء الربُّ وهدم هذا العرش، وسقط مُلك الخطية. لذلك يقول طرح الساعة السادسة: "يا مَن علَّقتَ الأرضَ كلها بكلمة من فمك وصُلبت لأجل خطاياي وأبطلت عز الموت يا سيدنا بصليبك يا ذا القدرة المنيعة".

رابعاً: لقد قتل الربُّ الموتَ بموته كما يؤكد ذلك التسليم الكنسي في القطعة الثالثة من صلاة الساعة التاسعة:

- يا من وُلدت من البتول

واحتملت الصليب

قتلت الموت بموتك

أظهرت القيامة بقيامتك".

هذا هو كمال التدبير، ولعل طرح الساعة التاسعة يكفي:

"الإنسان الأول الرأس الذي عَتَّق في الحزن قد تجدد اليوم بالإنسان الجديد الذي قتل الموت وأبطل عزته وكسر شوكته المرة، وقطعها الله الكلمة بكليتها".

شرح نبوة أشعياء ٥٢: ١٣ – ٥٣: ١٢

حسب نص الترجمة السبعينية

للقديس كيرلس الكبير

"عندما يقول: "انظروا عبدي سيفهم" (٥٢: ١٣)، فالله الآب يتكلم علانيةً عن المسيح مخلصنا جميعاً. ولنفهم نحن أن "عبدي" هو الابن الذي رغم أنه الله ورب الكل، إلا أن الكلمة "أخذ صورة العبد" (فيلبي ٢: ٧)، ودخل إلى محدوديات الإنسانية. "لأنه لم يعتبر أن المساواة بالله اختلاساً، بل أخلى ذاته .. وُلِدَ في شبه البشر وصار في شكل إنسان ووضع ذاته" (فيلبي ٢: ٦-٨).

لمَّا تأنس وضع ذاته، وبلا أدنى شك دُعي "عبد"؛ لأنه أخذ "صورة العبد". لكن النبي يقول: "سيفهم"، وهو يقصد أنه سوف يفعل كل الأشياء بفهم وحكمة ويتكلم بما يليق بالله. وحقاً كان عمله هو حكمة تليق بالله؛ لأن الابن الوحيد كلمة الله أخذ الجسد لأجل الآخرين، أي نحن. وصار فقيراً بيننا على الأرض لكي ما نغتني نحن بفقره (٢ كو ٨: ٩)، وبالإيمان به نغتسل من خطايا دنسنا؛ لأن الشريعة التي أُعطيت بموسى كانت لا تقدر أن تنزع الخطايا (عب ١٠: ١١). ولكن بموت جسده الخاص به أباد الموت (راجع عب ٢: ١٤)، وحوَّل ما هو بائد، وخلق من جديد الذين ساد عليهم الموت، فصاروا عديمي الفساد. وجعل الذين على الأرض مواطنين

في السماء لكي يوحِّد في ذاته كل الغرباء عن الله الآب، ويبشِّر بالعتق للأسرى، والبصر للعميان (أش ١: ١١) "ويشفي المنكسري القلوب" (أش ٦: ١١ – مز ١٤٧: ٣)، ويُفزع الجحيم ويطلق سراح الذين ملك عليهم الشيطان بالقهر.

لذلك يقول "عبدي سيفهم"؛ لأن كل ما فعل قد فعله بالحكمة، وحسب المزمور "بالحكمة خلق كل الأشياء" (مزمور ١٠٤: ٥٤)، لذلك السبب يقول (النبي) "سوف يتعالى ويتمجد جداً" (أش ٥٢: ١٣). نحن نسبحه كإله ورب، وندعوه المخلص والفادي؛ لأننا نؤمن أن هذا هو حق، ولكي يكون الكلمة الذي من الله الآب حقاً وبلا عيب أضاف (النبي): "الكل سوف يندهشون منك لأن منظرك بلا مجد عند البشر ومجدك غير معروف عند البشر" (أش ٥٢: ١٤)؛ لأن كل الذين شاهدوا شكله ومنظره كانوا مدركين وميَّزوا -بما فيه الكفاية بعيون الفهم- القوة العظمى التي فيه، واندهشوا من التدبير الإلهي.

ومن ضمن هؤلاء حبقوق النبي الذي قال: "يا رب قد سمعت خبرك وجزعت ونظرت أعمالك ودهشت" (٣: ٢). أما الذين لم يعاينوا مجده، فقد ظلوا في عدم الإيمان والغباء وأدانوه على أنه بلا مجد وبلا كرامة. قالوا عنه إنه "سامري"، محب للأكل وشرب الخمر، بل ادَّعوا أنه ابن زنى وخاطئ (مت ١١: ١٩)، ولذلك قيل "كل الذين شاهدوا شكلك سوف يندهشون منك لأن شكلك بلا مجد عند البشر ومجدك غير معروف عند البشر" (أش ٥٢: ١٤).

وما حدث بعد ذلك حدث له "سوف تتحير فيك شعوب، وسوف يصمت ملوك ويسدون أفواههم" (أش ٥٢: ١٥)؛ لأنه منذ ذلك ملوك خائفي الله يقدِّمون المجد لملك الكون، وسوف تستد أفواههم أي سوف لا يتفوهون بما هو قاسي أو نفاقي ضد مجد المسيح. أمَّا البشارة الإلهية المقدسة الواهبة الخلاص، أي الإنجيل، فهي لن تكون عند الذين شاهدوا منظره أنه بلا مجد، بل وصاروا ضمن هؤلاء الذين سُدَّت أفواههم واندهشوا من مجده. أعلن أشعياء ذلك بصراحة حينما قال عن هؤلاء: "الذين

لم يخبروا عنه سوف يرون والذين لم يسمعوا سوف يفهمون" (٥٢: ١٥). لقد أُخبر الإسرائيليون عن المسيح بواسطة الشريعة والأنبياء، بينما لم تعرف الأمم أي شيء عن المسيح ولا سمعوا أي شيءٍ عن أسراره، ولكن فهموها. أي أنهم جاءوا إلى الإيمان. الايمان هو الجذر الذي يغذّي الفهم؛ لأن الإيمان هو البداية الحقيقية للعبادة الحقيقية، ويقود إلى حياة لكل الذين يقبلوه (الإيمان)، ولذلك يقول النبي أشعياء: "إذا لم تؤمنوا لن تفهموا" (٧: ٩).

"يا رب من صدق خبرنا ولمن استعلنت ذراع الرب؟ نخبر به كما نخبر عن حقل ومثل جذر (نبات) في أرض عطشى" (٥٣: ١-٢). هكذا تكلم الأنبياء عادةً عن مخلصنا جميعاً؛ لأنهم يشرحون في (كلمات النبوات) التي نطقوها بحكمةٍ إن الله الكلمة سوف يأتي في شكلٍ بشري في الزمان المعيَّن، وأنه سوف يعمل معجزات لا يعملها إلا الله. وهنا يدعو (النبي) الذين تاهوا عن الطريق المستقيم لكي يعود الضالين إلى الحق بالإيمان.

وعندما يقول: "لقد رأيناه و لم يكن له شكلٌ ولا جمال" (٥٣: ٢)، فقد أخبرنا (الأنبياء) عن حالة وشكل الذي يتنبئون عنه؛ لأنهم أخبروا عنه علانية. هم يقولون إنه "إنسانٌ مخذول"، وإنه "حمل أمراضنا" (٥٣: ٣)، أي الأوجاع التي يعانيها من الشر. لقد عاينوا وجه المخلص (٥٣: ٣). عندما "خُذل" كان "مضطرباً"، وخائفاً لأنه كان سوف يعاني الموت على الخشبة، فهو قد قال: "نفسي قد اضطربت" (يوحنا ١٢: ٢٧)، وأيضاً: "نفسي حزينة حتى الموت" (مرقس ١٤: ٣-٤)، وماذا أقول: "أبي نجني من هذه الساعة؟ لا، لأنني من أجل هذه الساعة أتيت (يوحنا ١٢: ٢٧). وواحدٌ من الإنجيليين يقول: "كان الوقت قد حان" (متى ٢٦: ١٨ – رؤ ٣: ١)، أي وقت الآلام، عندما بدأ "يحزن ويكتئب" (متى ٢٦: ٣٧). وحقاً، ورغم أنه هو الكلمة الابن الوحيد من الله الآب، وحسب الطبيعة لا يتألم بالآلام الجسدانية الخاصة بالجسد، إلا أنه قَبِلَ هذه الآلام. وعندما جُرِّب بالآلام، لم يكن لديه حصانةٌ من الألم، بل في كلِّ شيءٍ أظهر أنه صار مثلنا. وعندما كان على الأرض، لم يكن

خيالاً أو شبحاً -كما يعتقد البعض- بل كان حقاً ويقيناً إنسان.

يقول النبي "لقد تحول وجهه بعيداً" (٥٣: ٣)، أي أنه صار عاراً لأنه صار محتَقَراً وبلا كرامة (٥٣: ٣). وحتى بيلاطس أرسله إلى هيرودس، وهيرودس أعاده إلى بيلاطس بكل احتقار (لوقا ٢٣: ١١)، ولم يكرِّمه كيسوع، ولذلك غطَّى العارُ وجهه، فقد بصق عليه وجلده جنود بيلاطس قائلين: "تنبأ لنا أيها المسيح. مَن الذي ضربك" (متى ٢٦: ٦٨). واحتُقِرَ أيضاً بشكلٍ آخر عندما احتمل جَلدَ السياط وضربات الحراس (مرقس ١٤: ٦٥). وبواسطة صوت أشعياء يقول هو: "أعطيت ظهري للضاربين وخدي للطم ولم أرد وجهي عن عار البصاق" (٥٠: ٦)، وهكذا عاين الأنبياء القديسين -كما ذكرت- بوضوحٍ الابنَ في الرؤيا التي أُعطيت لهم بالروح القدس. فهو لم يكن غريباً على عار البشر عندما حان وقت آلامه الذي فيه أباد الموت بموت جسده وحمل خطايا العالم.

"هذا الذي حمل خطايانا وتألم لأجلنا، ونحن حسبناه متضايقاً ومذلولاً، ولكنه جُرِحَ لأجل آثامنا، وصار ضعيفاً لأجل خطايانا، وعليه تأديب سلامنا. بجراحاته شفينا. كنا جميعاً مثل غنم ضللنا وكإنسان ضلَّ طريقه، وأسلمه الرب من أجل خطايانا" (٥٣: ٤-٦س). لقد احتمل ربنا يسوع المسيح الصليبَ، واحتقر العار (عب ١٢: ٢)، وأطاع الآب حتى الموت (فيلبي ٢: ٨)، واحتمل فساد اليهود لكي ما يحمل خطية العالم (يوحنا ١: ٢٩)؛ لأنه لا الشريعة المكتوبة، ولا العبادة حسب الشريعة، كانا قادرين على (تحقيق الخلاص)؛ لأن "دم الجدي والثيران لا يمكن أن ينزع الخطية" (عب ١٠: ٤)، ولكنه تألم خارج الباب (أورشليم) كما يقول بولس لكي ما يقدس الشعب بدمه الخاص (عب ١٣: ١٢). هو لم يتألم من أجل ذاته -هذا ليس مطلوباً، ولا هو ضروري، ولكنه تألم من أجل كلِّ الذين تحت السماء. ويشهد بولس الحكيم جداً عندما كتب عن الله الآب أنه لم يبخل بابنه الوحيد، بل أسلمه لأجلنا، فكيف لا يهبنا معه كل شيء (رو ٨: ٣٢).

وفي موضع معين –من خلال انشودة المزمور– يقـــول المســـيح لله الآب في السماء: "ذبيحةً وقرباناً لم تطلب، ولكنك هيَّأت لي جسداً، بمحرقةٍ وذبيحةِ خطيةٍ لم تُسر عند ذلك قلتُ: ها أنا أجيء لكي أفعل إرادتك يا الله كما هو مكتوب عـــني في درج الكتاب (مزمور ٣٩: ٧-٩ س عب ١٠: ٥-٧). لأن العبادة حسب الشريعة لم تكن ذات فائدة للمائتين و لم تنزع خطاياهم؛ لأن الله لم يُسر بذبائح الثيران أو ذبـــح الغنم، ولكن الحمل الحقيقي الذي يحمل خطية العالم (يوحنا ١: ١٩)، قدَّم ذاته رائحة بخورٍ عَطِرٍ لأجلنا. ولأن الجسد احتمل الموت؛ حرر الذين تحت السماء مـــن المـــوت والخطية، لأن الذي هو مستحقٌ أكثر من الكلِّ، تألم عن الكل لكي يقتني ويملك كـــلَّ الأشياء.

ومرةً ثانيةً يؤكد بولس هذا عندما يكتب: "لأجل هذه الغاية مـــات المســـيح وقام أيضاً لكي يكون ربَّ الأموات والأحياء" (رو ١٤: ٩). وأيضاً هـــذا: "مـــات لأجل الجميع لكي لا يعيش الأحياء فيما بعد لأنفسهم بل للذي مات لأجلهم وقـــام" (٢كو ٥: ١٥). وحقاً يقول النبي إنه كان كإنسانٍ متضايقٍ، يعرف كيـــف يحمـــل أمراضنا "ومثل من أدار وجهه لأنه ذُلَّ و لم يكن له كرامة"، وهو "حمل خطايانا وتألم لأجلنا ونحن حسبناه متضايقاً ومرذولاً ومصاباً" (راجع أش ٥٣: ٣-٤ س).

لنحسب كيف –بحذق– يقدِّم لنا النبي هذا الخبر بهذه الكلمات. لقـــد أدرك النبي أن الذي عَرِفَ سِرَّ المسيحِ وآمن بأن المسيحَ تألم عن خطاياه، هو الذي ســـوف يحسبه متضايقاً ومذلولاً ومصاباً. لقد قال النبي هذه العبارات لئلا نظن أن آلامه حلَّت عليه من الله من أجل خطاياه الخاصة، وأنه بسبب خطاياه، كان "متضايقاً ومـــذلولاً ومصاباً". ولكن ليست هذه هي الحقيقة، بل بالحري؛ لأنه "جُرِحَ لأجل آثامنا وصار ضعيفاً بسبب خطايانا" (أش ٥٣: ٥). وفي الأزمنة السابقة انفصلنا عن بعضنا البعض بسبب عداوتنا لله (أفسس ٢: ٣)؛ لأننا كنا نحارب شريعة الله المقدسة، و لم نقبل نـــير الطاعة، ورفضنا أن نخدم الله. ولكن بسبب هذا صار من الضروري –كمـــا يقـــول (النبي)– ان يؤدِّب بالسياط الذين تكبَّروا وتعالوا وانتفخوا، ولكن بعد أن تحررنا مـــن

الشر، انتهت العداوة وجئنا إلى سلامٍ مع الله (أفسس ٢: ١٤-١٦)، وعندما نحيني رقابنا لكي نعمل ما يرضيه. ولكن "التأديب" (٥٣: ٥) كان يجب أن يقع على الذين أخطأوا وصاروا أعداء الله؛ لكي بالتأديب، يتصالحون معه، ولكن التأديبَ وَقَعَ على المسيح. هذا هو معنى الكلمات: "تأديب سلامنا عليه" ويؤكد أشعياء معنى الكلمات؛ لأنه يضيف إليها فوراً: "بجراحاته شُفينا". لقد تألم -كما قال النبي- لأجلنا؛ لأننا كنا كغنم ضللنا، وكلٌّ منا سار في طريقه والرب أسلمه من أجل خطايانا" (٥٣: ٦). لقد ضللنا وتركنا الله الحي واتَّبعنا شهواتنا، ولكي يحررنا من الدينونة ويخلص الذين لديهم الإيمان والرب المسيح يعرف ذلك، لذلك قال: "هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية" (يوحنا ٣: ١٦).

يقول النبي: "ومن يخبر بجيله؟" (٥٣: ٨). وهذه العبارة يمكن فهمها بطريقتين: الأولى إن الله الكلمة المولود من الله الآب له ميلادٌ فائقُ الوصف، أسمى من أن يعبِّر عنه الفهم. فهو لم يولد ميلاداً جسدياً، بل بالميلاد الذي يليق بما هو روحي وغير مادي، مثل النور من النور والحياة من حياة. لأننا نعتقد بثبات أنه حقاً مولودٌ من جوهر الآب، ولا نعرف كيف يكون هذا.

وعلى الرغم من أنه الإله بالطبيعة إلا أنه تنازل وأخلى ذاته لأجلنا، وأخذ صورة العبد (فيلبي ٢: ٧)، ووُلِدَ من امرأةٍ ميلاداً جسدياً، ليس حسب القوانين الخاصة بالطبيعة الإنسانية (ثمرة زواج)؛ لأنه لم يولد من رجل وامرأة، بل ميلاداً سرياً فائقاً يعلو على كل الوصف. فقد قيل للعذراء القديسة: "الروح القدس يحل عليكِ وقوة العلي تظللك لذلك المولود منك يدعى ابن الله" (لوقا ١: ٣٥). وهكذا، في سر ميلاده كإنسان، الذي لم يحدث حسب (الميلاد البيولوجي) الطبيعي قال النبي: "ومن يخبر بجيله؟".

وعندما تقول النبوة: "وحياته تُنزع"، أي تُرفع (تنزع airetai هي مثل epairetai أي تُرفع؛ لأن حياته التي عاشها كإنسان بيننا كانت حياةً اسمى من أي حياةٍ إنسانيةٍ

على الأرض، ورغم أنه ظهر كإنسان عندنا، إلا أنه هو وحده "الذي لم يفعل خطية ولا وُجِدَ غشٌ في فمه"، وهو ما لم يستطع أي إنسانٍ آخر أن يفعله. هو وحده بلا عيب. وكلمة "تُنزع" أي تُرفع، يمكن أن تشير إلى الابن الوحيد قبل تجسده؛ لأنه تأنس لأجلنا وحياته لم تكن مثل حياة أي إنسان عرفناه. كان ميلاده حسب الجسد فائقاً وعجيباً، وحياته الإلهية تفوق كل المقاييس البشرية. "ونفسه سترى نسلاً كثيراً" (٥٣: ١٠)، أي أنك سوف تكون رفيقاً لرفاقٍ في الحياة الأبدية، أي القديسين الذين يحفظون الإيمان والذين صاروا أغنياء برجاءٍ في الحياة الأبدية. لم يكن لدى الأمم أي معرفة بقيامة الأموات، وهم حتى الآن لا يؤمنون بهذا السر. ويقولون إن نسمة الأنف مثل الدخان، وعندما تصعد تختفي، والجسد يعود إلى التراب، والروح تذوب، والإنسان نفسه صار مثل قطعةٍ تغطي مساحةً أكبر (فقد كيانه). وأمَّا الذين تغذِّيهم الكنيسةُ، فالإيمان بقيامة الأموات رجاءٌ ثابتٌ. وقد وَعَدَ اللهُ الأمم الذين طلبوا مكافأةً لنفوسهم، أن يُقرِّب المسيحَ، وأن يتألم عن خطاياهم. وبولس يوضح ذلك الدَّين الذي علينا عندما يكتب: "واحدٌ مات عن الجميع لكي يعيش الأحياء فيما بعد، ليس لأنفسهم، بل له هو الذي لأجلهم مات وقام" (٢كو ٥: ١٤-١٥). وحقاً نحن مدينين له بالكثير، بالحياة نفسها؛ لأن المسيح يقول عن هذا: "إذا أراد إنسان أن يأتي ورائي فعليه أن ينكر نفسه ويحمل صليبه ويتبعني" (متى ١٦: ٢٤). ومَن ينكر ذاته، هو الذي لا يضيِّع حياته في الملذات، بل في الحياة التي تخصَّص للمسيح، الحياة المقدسة التي بلا عيب مثل حياة بولس الذي كتب عنها: "لقد متُّ بالشريعة لكي أحيا لله. مع المسيح صُلبتُ، فأحيا لا أنا، بل المسيح يحيا فيَّ، والحياة التي أحياها الآن في الجسد هي حياة الإيمان بابن الله الذي أحبني وأسلم نفسه لأجلي. أنا لا أُبطِّل نعمة الله" (غلا ٢: ١٩-٢١).

لنعتبر كيف صلب بولس حياته ومات عن الخطية وخصصها لمن تألم لأجله. لقد سمعنا كيف أنذر المسيح الذين عرفوه معرفة صحيحة: "مَن يحب أباً أو أماً أكثر مني فلا يستحقني ومَن يحب ابناً أو ابنةً أكثر مني فلا يستحقني" (متى ١٠: ٣٧). الأم

والأب هما معاً أصل وسبب الوجود الجسدي، ولكن الله آبُ كلِّ شخصٍ، هو أصل وسبب الحياة الجديدة لكل الذين على الأرض، وهم تحت حكم الموت، ويذبلون مثل حشيش الأرض. لكنه يجددهم (الله) للحياة الأبدية وبعدم الموت بلا فساد بواسطة المسيح في الروح القدس مكللاً الكلَّ بالحياة الأبدية الدائمة. لذلك يجب أن تكون محبتنا لله أعظم من محبتنا للوالدين، وأن نحب المسيح بكل نفوسنا وبكل قلوبنا (متى ٢٢: ٣٧). وأن نحيا حسب وصاياه وتعليمه المقدس متمسكين به بالإيمان المستقيم الذي بلا عيب، هو أن "نقدَّم ذبيحة خطية" (٥٣: ١٠)، ولذلك "تحيا نفسك وترى نسلاً كثيراً" (٥٣: ١٠).

"لأن الرب شاء أن يشفي جراح نفسه، وأن يريه نوراً وأن يملأه بالفهم" (٥٣: ١١). كان المسيحُ حزيناً حتى الموت (متى ٢٦: ٣٨ – مرقس ١٤: ٣٤). قَبِلَ الموت على الصليب المكرَّم -كما كتب الإنجيليون القديسون- ولكن عندما قام من الموت بعد أن مكث في الجحيم ثلاثة أيام، تجلَّت طبيعته الإنسانية بعدم الفساد، وبالمسرة الصالحة التي لله الآب (أفسس ١: ٥، ٩)، وامتلأت الأرض من معرفته. ورأى الأمم الكثيرة التي سوف تأتي إليه تاركةً عاداتها القديمة التائهة خلف الآلهة؛ لأن الآب دعاهم لمعرفة (الابن).

لقد عانى (المسيحُ) من الوجع ومن الألم، ولكنه أعطى النصرة للمؤمنين. وبسبب صلاحه -وبعد قيامته من الأموات- فَرِحَ (الربُّ) بخلاص العالم وحياته، ولذلك قال للرسل القديسين: "دُفِعَ إليَّ كل سلطان في السماء وعلى الأرض. اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس" (متى ٢٨: ١٨-١٩). وعندما يقول: "إذا قدَّمتكم ذبيحةً عن الخطية"، فأنتم أنفسكم أيها النسل الكثير (٥٣: ١٠)، أي القديسين؛ لأن الله الآب سُرَّ أن يشفي جراح نفسه (اش ٥٣: ١١)، فقد سُرَّ أن يحوِّل وجع المسيح على الصليب إلى فرحٍ، عندما أراه أن الجالسين في الظلمة، أي الذين تاهوا وراء الآلهة قد تحولوا إلى نور. وعن هؤلاء الشعب يكتب بولس الحكيم جداً: "لأننا كنا قبلاً ظلمةً، ولكن الآن نورٌ في الرب" (أفسس ٥: ٨)

وهدفه (الآب) أن يتكونوا بفهمٍ (٥٣: ١١). ويعلِّمنا بولس الحكيم جداً عن هـذا: "ونحن جميعاً بوجهٍ مكشوف نرى مجد (الرب) نتغير إلى مثاله من مجد إلى مجد وهذا من الرب الذي هو الروح" (٢كو ٣: ١٨). أمَّا الذين هم في الخطية والـذين يعبـدون المخلوق وليس الخالق (رو ١: ٢٥)، فإن قلوبهم المريضة وفهمهم الفاسد الذي تكلـم عنه أرميا قائلاً: "ها أن عيونكم وقلوبكم مريضة" (٢٢: ١٧ س)، ولكـن بعـد أن يقبلوا الإيمان في المسيح، يتحولون روحياً إلى أُلوهيته ويصيروا بشكلٍ فائقٍ أكثر جمالاً. ويكتب بولس الحكيم جداً عن بعض هؤلاء: "يا أولادي الذين أنا أتمخض بهم إلى أن يتكون المسيح فيكم" (غلا ٤: ١٩). وبفهم (المسيح)، أي حكمته الإلهية، يريـد الله الآب أن يعيد تكوين المؤمن بالمسيح، وأن يستعلن فيه صورته بتقـديس الـروح "لأن الذين سبق فعرفهم، سبق فعينهم ليكونوا مشابهين صورة ابنه وهؤلاء ايضاً دعـاهم" (رو ٨: ٨: ٢٩-٣٠). من الشعبين[1] قيل إن الله سوف يخلق الإنسان الجديد (أفسس ٢: ١٥)، وأعتقد أن الله الآب يريد أن يبرر البار الذي يخدم كثيرين لأنه سوف يحمل خطاياهم (٥٣: ١١)، ولا يجب على أي إنسان أن يظن أن "البار الذي يخدم كثيرين" هو آخر غير ربنا يسوع المسيح؛ لأن المسيح نفسه يؤكد أنه جاء لكي يخدم لا لكـي يُخدم (متى ٢٠: ٢٨)، حسب تدبير التجسد. والخدمة التي يشير إليها بولس هي تلك الخاصة بالشريعة وبالعهد الجديد؛ لأنه يقول عنها: "إذا كانت خدمة الدينونة قد نالت مجداً حتى أن وجه موسى كان يشع مجداً فكم بالحري خدمة البر التي فـاق مجـدها" (٢كو ٣: ٩). المسيحُ بلا عيبٍ، فهو البار الذي جاء ليخدم كثيرين، ورغم أن الكلمة هو الله إلا أنه أخذ صورة العبد (فيلبي ٢: ٧ – يوحنا ١: ١١). ليس طبعه احتاج إلى هذا، بل بالحري جاء لكي يشاركنا لكي يخدمنا بالخدمة التي بها نخلص" (مجلـد ٧٠: ١١٦٤ – ١١٨٩).

---

(١) اليهود والأمم.

من هو الذي يأتي من آدم (أش ٦٣: ١-٧)

شرح القديس كيرلس الكبير:

"منظره كان غريباً وبعيداً عن إدراك القوات العلوية، ولذلك دُهِشوا عندما عاينوه وسألوا في دهشةٍ: "مَن هذا الذي أتي من آدم" (أش ٦٣: ١). وآدم تترجم إمَّا "الحنطة"، أو "الأرض". ثم "مِن بُصرة"، هي "من الجسد أو الجسداني"، لذلك كانوا يسألون مَن هو هذا الذي من الأرض، أم هو أرضي بثياب ارجوانية من بُصرة (٦٣: ١)، أي ملابسه حمراء من جسده، أو بالحري من دمه. هو "جميلٌ بما يلبس (ملابس apparel حسب القاموس wear - clotting)، وهي كما وردت في السبعينية Ουτως ώραΐoος εν στολή " (٦٣: ١). القوات العلوية القوية والحكيمة، امتلأوا من المجد السماوي عندما كانوا ينظرون إلى المسيح، وهو في الجسد؛ لأنه القويُّ القادر الذي أعلن أُلوهيته وأيضاً تجسده لهم. وكانت الملائكة يسألونه، ويسأل كلٌّ ملاكٍ الآخر: مَن هو؟ أجاب الرب: "أنا هو المتكلم بالعدل وبحكم خلاصي λεγομαι δικαίοσυνην κάι κρίσιν σωτηρίον" (٦٣: ١). العدل، أي استعلان الإنجيل المقدس؛ لأن كلمة الله هو حق. وحكم الخلاص هو تدخُّله لأجلنا؛ لأنه جاء بالعدل إلى العالم، وحرر الذين قهرهم الشيطان بقهر تمادى فيه. لقد طرح (الشيطانَ) كمعاندٍ يعاند ملكه على البشر، ولذلك السبب قال: "لدينونةٍ قد أتيت إلى هذا العالم، الآن رئيس هذا العالم يطرح خارجاً وأنا متى ارتفعت عن الأرض أجذب جميع البشر إليَّ" (يوحنا ١٢: ٣١-٣٢).

ويجيب المسيح عندما يسألون سؤالاً آخر: لماذا ثيابك حمراء؟ ولباسك كمَن جاء من دَوسِ معصرةِ العنب (٦٣: ١٢)؟ هذا يذكِّرنا بما قاله البطريرك يعقوب: "يغسل ملابسه بالنبيذ وثيابه بدم العنب" (تك ٤٩: ١١). كانت ثيابه حمراء بالدم،

كما لو كانت قد غطست في النبيذ الأحمر". (مجلد ٧٠: ١٣٨١ – ١٣٨٤).

شرح أشعياء ٦٣: ٣–٦

لقد داس الربُّ معصرة الوجع وحده، ولم يكن في كل جنس البشر مخلِّصٌ مثله، ولذلك لم يكن معه أحدٌ آخر. لقد داس أعداء الإنسانية بغضبٍ؛ لأنهم قهروا الجنس البشري، وداسهم على الصليب، فسال دمهم، أي دماء الصلبِ التي دبَّرها العدو بواسطة بيلاطس ورؤساء اليهود، ولذلك لطخت كل جسده بالدم.

"لأن يوم القضاء في قلبي وسنة مفديَّ قد أتت". لقد حل القضاء وحكم على الموت حسب مسرة الآب والابن والروح، ولذلك يؤكد النبي أن سنة المفديين قد أتت، فقد تحقق الخلاص، ولذلك بعد أن فضح الرؤساء وأشهر السلاطين جهاراً ظافراً بهم في الصليب (كو ٢: ١٥)، فقد كان هو وحده القادر على أن يصيب الشياطين بحيرةٍ، فصاروا مثل السكارى لا يصدقون أن هذا الذي لبس الجسد الإنساني قد سكبَ على الأرض كل المؤامرات المدمِّرة التي تآمروا بها على الجنس البشري، وسُكِبَت على الأرض كما يسكبُ أيُّ إنسانٍ عصيراً، فلا يمكن استخدامه بعد ذلك"[١].

+ + +

(١) شرح آلام الرب حسب نبوات العهد القديم. تحت الطبع.